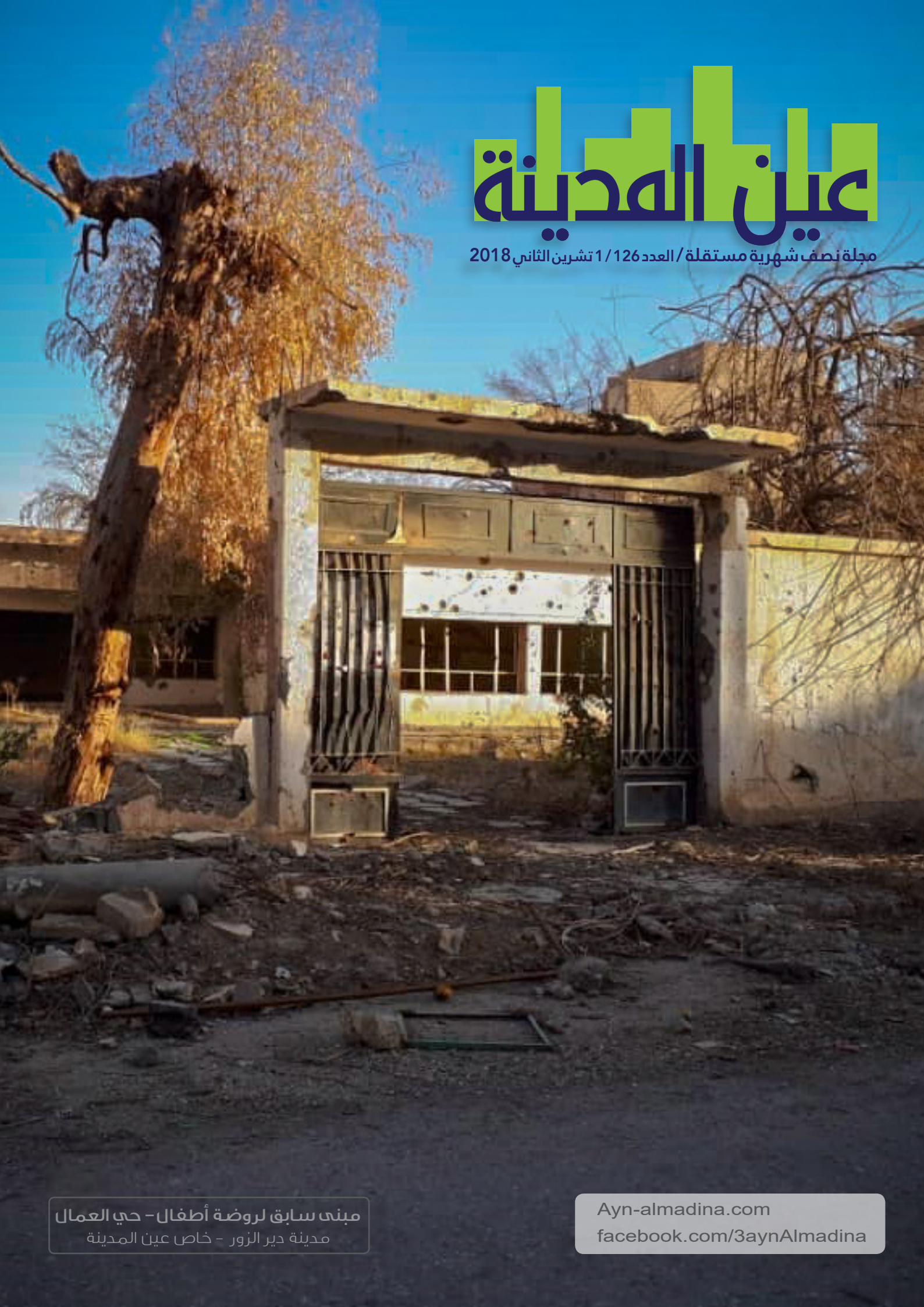


عين المدينة

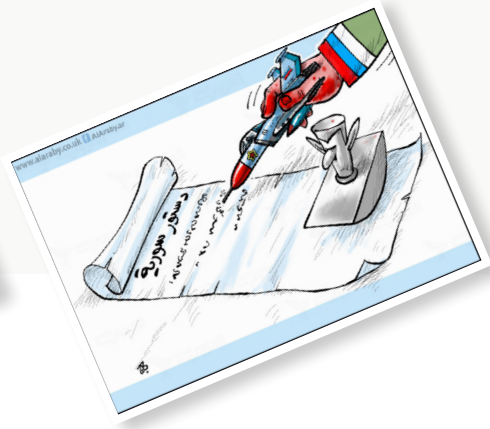
مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 126 / تشرين الثاني 2018



مبنى سابق لروضة أطفال - حي العمال
مدينة دير الزور - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com

facebook.com/3aynAlmadina



طور الحل الدستوري.. تسكين السياسة بالأوهام

بينما تتحدد المواجهات العسكرية في سوريا على جبهتين لم تحسما بعد في إدلب ودير الزور، تظهر المواجهات السياسية وكأنها تستجيب لشرط التسكين، وانتظار قادم المبادرات السياسية الدولية، بعد استقالة المبعوث ستيفان دي ميستورا، بإرثه الذي كوّم فشلاً على فشل أسلافه، منذ بدأت ما تعرف بمسيرة الحل السياسي في سوريا؛ والذي لم يقدم سوى خطابات وبكائيات دولية، تنتقل من اسم مدينة إلى آخر، تبعا لحركة آلة الإبادة الأسدية، وحليفها الإيراني والروسي.

تموضع آلية السياسة الدولية إزاء المقتلة السورية صيغتها الراهنة في "اللجنة الدستورية"، لتقييم سجالاتاً عقيمًا ومتكرراً حول جدوى الاقتناع بأن عصابة حاكمة بالقوة مثل نظام الأسد، قد تقدم في سياق مناورة -تقوم على تلبيس السياسة إهاب القانون والنصوص الدستورية- تنازلات لم تقدمها في الحرب والسياسة التفاوضية، التي غيرت جلودها غير مرة، من بيان جنيف إلى قرارات مجلس الأمن وعملية أستانا.

الواقع أن الرهان على وصول نظام الأسد إلى أي درجة من "العقلانية السياسية" يبدو مجرد وهم لا طائل منه، لأن نظاماً قائماً على مزيج من القمع والفساد ورعاية الإرهاب، لن يمكنه التوصل إلى أي أرضية سياسية غير بقائه بصورته الأولى، والمفارقة هنا أن هذه الصورة تستند إلى ما يصر النظام على وصفه بـ"حكم دستوري" لا يطبق منه حرفاً واحداً، وسيكون من السذاجة الاعتقاد بأنه سيطبق أي تعاليم دستورية أخرى تهدد كيانه.

ثمة مفارقة أكثر عمقاً، إذ لو كان نظام الأسد قد التزم بأي دستور أقره، لما وصلت الأمور إلى ماهي عليه الآن، فكلّ دساتير سوريا منذ انقلاب حافظ الأسد، تنصّ على حق السوريين بالحياة والحرية والقضاء العادل؛ وهو ما لم يحصل عليه أحد من مليون شهيد خلال الثورة، وأضعاف ذلك ممن اعتقلوا وعذبوا حتى الموت، وقمعوا وتشردوا من البلاد.

في هذا العدد من "عين المدينة"، و ككل عدد سبقه، هناك من التفاصيل ما يكفي لتوضيح استحالة تراكم معادلة تجمع بين نظام الأسد وأي صورة للحكم الرشيد أو حتى للطغيان المستتر. ثمة صورة لبلدة داريا تقول كل شيء، ولو استبدلناها بصور من حمص أو الرقة أو دير الزور أو درعا، لما تغير الكثير؛ لا دستور ذا معنى في ظل بقاء نظام بشار الأسد.

14-15 طوابير السوريين المتشابهة في ولاية كيليس التركية

3 أمام داعش.. نكسة أخرى تكشف هشاشة «قسد»

16 المنح التركية جمعت المعارض والمؤيد على مقعد دراسي واحداً

4-5 أكاذيب صدام الجمل... اللص الذي صار أميراً في داعش

17 صنم دير الزور.. برميل إعادة الإعمار وأموال داعش

7 الحرب والنزوح أفقدت سهل الغاب خضرته الدائمة

19 اعتقال وعد شاليش

10-11 «حراس الدين» في إدلب «دواعش» وقنبلة موقوتة



عناصر من قسد المدعومة من قبل التحالف الدولي - فرانس برس

أمام داعش.. نكسة أخرى تكشف هشاشة «قسد» ومجلسها العسكري في دير الزور

■ محمود الراغب

بين يومي (26-27) من شهر تشرين الأول الماضي، شن تنظيم داعش هجمات متتالية انطلاقاً من جيب سيطرته المحاذي لنهر الفرات شرق دير الزور، على مواقع "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) في محيط هذا الجيب، وتمكن من استعادة جميع الأراضي بين مدينة هجين وقرية الباغوز وصولاً إلى الحدود مع العراق، وهي الأراضي التي كان خسرها في معارك سابقة.

وفرارهم جماعات أمام عدد محدود من عناصر تنظيم داعش، كما حدث في معركة بلدة السوسة. ومع انهيار دفاعات "قسد" وجد تنظيم داعش طريقه مفتوحاً ليصل إلى بلدة غرائج، ويختطف (11) شخصاً من السكان، ما دفع الأهالي في هذه البلدة وجوارها إلى حمل السلاح تحسباً لهجوم آخر قد تشنه داعش.

في أقل التقديرات فقدت "قسد" (250) مقاتلاً بين قتيل وأسير خلال المعارك، كان معظمهم من الريف الجنوبي (العربي) لمحافظة الحسكة، ولم يبدُ -حسب مجريات المعارك- أنهم يتمتعون بخبرات قتالية كان من المفترض اكتسابها حصيلة تدريب وتجارب في معارك سابقة. وساهم في هذا التحول المفاجئ بسير العمليات العسكرية لصالح داعش، غياب قيادة فعلية ميدانية تنظم عملية الانسحاب إلى خطوط دفاعية خلفية تحد من اندفاع داعش وتقلص من حجم الخسائر.

بعد المعركة، وتحضيراً لهجوم واسع تستعيد فيه ما خسرت أمام داعش، بدأت "قسد" باستقدام تعزيزات بمئات المقاتلين والمقاتلات من (ypg) و (ypj) من محافظة الحسكة، كانت حريصة على ألا تزج بهم في معارك قد تكبدها خسائر بشرية كبيرة، لكنها تبدو مضطرة لذلك أمام حالة التخبط التي يعاني منها "مجلس دير الزور العسكري"، ويعجز فيها عن استئناف القتال ضد التنظيم الذي تلقى دفعة معنوية كبيرة، بعيد تمده المفاجئ؛ ليستعيد وخلال وقت قصير ما كان قد فقده منذ أعلنت "قسد" في 11 أيلول الماضي انطلاق المرحلة الأخيرة من عملياتها العسكرية للقضاء على داعش نهائياً شرق دير الزور.

من المؤكد أن "قسد" مدعومة بالتحالف الدولي، ستدحر داعش ثانية، لكنها لن تتمكن لوحدها من الدفاع عن الأرض التي تسيطر عليها، ولو لأيام معدودة من دون التحالف.

في هجماتها استغلت داعش العواصف الغبارية والأجواء الماطرة التي أوقفت طيران التحالف، ما ترك مجموعات "قسد" دون غطاء جوي كان العامل الحاسم دوماً في كل مواجهاتها ضد داعش. وبدون الطيران، ودون وحدة المدفعية الفرنسية التي توقفت هي الأخرى عن المشاركة في القتال وأخلي الموقع المتقدم الذي كانت تشغله جنوب حقل التنك، ودون وحدة دعم لوجستي أمريكية أخلت هي الأخرى بالمرحيات من موقعها قرب الحقل، انكشفت القدرات العسكرية الحقيقية ل(قسد)، وبدت سافرة نقاط الضعف التي تعاني منها.

تنقسم التشكيلات المؤلفة ل"قسد" على أساس عرقي، بين مكون كردي ينضوي تحت ما يعرف يعرف ب"وحدات حماية الشعب" (ypg) و"وحدات حماية المرأة" (ypj) ومكون عربي ينضوي في حالة دير الزور تحت ما يسمى "مجلس دير الزور العسكري"، ولم تخفف الشعارات والأدبيات التي تتخذها "قسد" مستنسخة مما لدى حزب الاتحاد الديمقراطي (pyd) -عن أخوة الشعوب و"نضالهم المشترك"- من حدة هذا الانقسام، الذي تكررته ضالمة المشاركة العربية باتخاذ القرار، والأدوار الهامشية لهم في الحلقة القيادية العليا ل"قسد".

لا يشعر غالبية المقاتلين العرب في صفوف "قسد" بالانتماء الفعلي إليها، حيث يعدّ التطوع في صفوفها مجرد عملية توظيف تجلب راتباً آخر كل شهر، في ظروف مترددة يصعب الحصول فيها على فرصة عمل. وربما يجد الكردي -أو بعضهم على الأقل- في صفوف (ypg) أو (ypj) دوافع معنوية قد تشكل لديهم عقيدة قتال في حد ذاتها، لكن عرب "مجلس دير الزور العسكري" أو أغليبتهم يفتقرون لأي دافع من هذا القبيل. وكشفت المواجهات الأخيرة مع داعش عن غياب الدوافع المعنوية لدى المقاتلين العرب، وكانت النتيجة عجزهم عن الصمود،

أكاذيب صدام الجمل... اللص الذي صار أميراً في داعش

2011- فإنه سيلقي أي ترهات يملأ فيها وقت "البرنامج"، ليكتشف أي مشاهد أن هذا الكلام ليس صحيحاً بطبيعة الحال، فالثورة السورية انطلقت في آذار عام 2011.

يقول أيضاً إنه بعد قيام النظام بقتل ستة من أبناء المدينة، حاولت قواته استعادة الهدوء فيها، فلم تقم بأي أعمال تصعيد، مع العلم أن التلفزيون السوري التابع للنظام عرض في الشهر الخامس من العام نفسه تقريراً مصوراً من مدينة البوكمال، يقول فيه إن عصابات إرهابية تعتدي على المقرات الحكومية. والحقيقة أن النظام لم يعمل أبداً على تهدئة الأمور، بل كان يدفعها أكثر فأكثر نحو التصعيد و"شيطنة" الثورة، فلن نستغرب والحال هذه، إن كان إطلاق سراح صدام الجمل، وهو المتهم بأعمال التهريب، ثم بروزه في الصورة لاحقاً حاملاً بندقية كلاشينكوف، قد تم باتفاق مع النظام! كما حدث في مناطق كثيرة، ولعل أمثلة الشيوخ الذين باتوا يسمون بالضفادع خير مثال على ذلك.

أوفد النظام فعلاً بعض المسؤولين من أبناء المنطقة للتفاوض مع أهالي المدينة، وقد استقبلهم عدد من قادة العمل الثوري السلمي، ورفضوا مطالبهم، ولم يكن صدام الجمل واحداً منهم بطبيعة الحال، حسب شهادة أحد الحاضرين، وهنا لا بد أن نسأل المحاور، لماذا لم يستوقف محدثه لیسأله كيف قفز فجأة ليتحول من مجرد متفرج على المظاهرات بسبب الكسور التي كان مصاباً بها - كما قال صدام نفسه - إلى وجه بارز من وجوه العمل الثوري؟ ليس مهماً...

أواخر شهر تموز عام 2011 بدا أن مدينة البوكمال تغلي فعلياً، ولم تعد هادئة، وارتفعت وتيرة العمل المسلح، فكان ثمة كتيبة للجيش الحر هي كتيبة الله أكبر، تضم قرابة مئة وخمسين إلى مئتي عنصر، كان صدام الجمل قد بات أحد قادتها، لكنه سينشق عنها لاحقاً ليشكل "لواء الله أكبر". يقول الجمل خلال اللقاء، إن معظم المقاتلين هم من أبناء عشيرته، ويضيف في موضع آخر من اللقاء أن غالبية مقاتلي كتيبته أو لوائه هم من الحشاشين والعاطلين عن العمل، ويمضي في إقناع المستمع بأن أهالي البوكمال هم تقريباً من عشيرته، وهنا لا بد من القول إن

يقول مثل شعبي: يمكنك معرفة الكذبة من كبر حجمها، وينطبق هذا المثل تماماً على سلسلة الاعترافات التي بدأت "مؤسسة ناس" بثها تباعاً للقيادي الداعشي (صدام الجمل)، فاللقاء المصور تبذره المؤسسة بكذبة، إذ تشير إلى أن الرئيس الأميركي دونالد ترمب أشاد شخصياً في تغريدة له باعتقال الجمل على أيدي المخابرات العراقية، مع أن عملية الاعتقال أثارت شكوكاً جادة بأنها مفتعلة ونفذت بالاتفاق مع الجمل نفسه.

يبدأ الجمل "سرديته" فارضاً نفسه زعيماً أوحد للعمل الثوري في منطقة البوكمال التي ينتمي إليها، ومن ثم للعمل العسكري؛ على الرغم من اعترافه في الجزء الأول من "اعترافاته" أنه كان سجيناً في بداية الحراك الثوري، والمظاهرات السلمية ضد نظام دمشق، والتي انطلقت فعلياً في مدينة البوكمال أواخر الشهر الثالث عام 2011 "فزعة" لدرعا، حين كان صدام الجمل - أو صدام "الرخيطة" كما تسمى عائلته في البوكمال - سجيناً بسبب أعمال تهريب الدخان التي كان يقوم بها عبر الحدود العراقية السورية. أما كيف تحول ذلك المهرب إلى قائد ثوري؟ وما سبب خروجه وحمله السلاح في مواجهة النظام؟ فهذه أسئلة لا تشغل بال محاوره، الذي يظهر أن جهاز المخابرات العراقية قد كلفه بهذه المهمة، فالمطلوب من خلال سردية (الجمل) هو تصوير الثورة وكأنها عمل همجي، قام به مجموعة من المهربين؛ لذلك فهو لن يمانع أن يقول إن مدينة البوكمال هي مدينة مهربين، وإن بيوتها مليئة بالأسلحة. يقول مثلاً إن خمسة عشر ألف مسلح هبوا في مدينة البوكمال بعد قيام قوات الأمن السوري بقتل ستة من المتظاهرين! لكن الوقائع تقول إن من حمل السلاح في المدينة بعد تلك الحادثة لم يكن عددهم يتجاوز المئتي رجل، إذ كان ثمة أصوات تطالب بالإبقاء على سلمية الثورة.

وعن الفترة إياها التي كان فيها الجمل سجيناً، يعود للكلام عن أن المظاهرات كانت سلمية، وأنها كانت تطالب بالحرية وزيادة الرواتب. طبعاً، ولأن "الجمل" يخلط الأمور بعضها ببعض، فيقول مثلاً إن بدء المظاهرات في البوكمال ثم الانتقال للعمل العسكري حدث في أواخر العام 2010 وبدايات العام



الجمال ينتمي لعائلة صغيرة وفقيرة، ولم تكن ذات شأن كبير في المدينة - كما يوحى حديثه العمومي في أكثر من مكان - فوالده وعمه كانا بائعي خضار بسيطين.

طبعاً هناك أسئلة عديدة من الواجب سؤالها عن حجم الاختراقات التي حدثت في الجيش السوري الحر، إذ سيخبرنا أحد أعضاء المجلس المحلي في البوكمال، أنهم طالبوا بتعيين أحد أبناء المدينة الموثوقين في منصب قائد الجيش الحر في المدينة، لكن ما تسمى بهيئة الأركان رفضت الطلب، وعينت صدام الجمال فيما بعد قائداً للجيش الحر، وهنا بدأ دوره يصعد شيئاً فشيئاً، من خلال أعمال اللصوصية التي كان يقوم بها مع بعض المقربين منه، من بينهم اثنان من أشقائه. وأشهر أعمال اللصوصية التي قامت بها مجموعته سرقة مستودعات مؤسسة الأعلاف في البوكمال، وبيعها لحسابه الشخصي.

سيؤدي ظهور جبهة النصر بعد ذلك في البوكمال إلى وقوع خلاف بين صدام الجمال ومن معه من جهة، وبين "النصرة" التي كانت تسعى للسيطرة على المدينة من جهة أخرى؛ ثم جاء قتل ثلاثة من أخوته خلال المعارك التي خاضها ضد الجبهة، ليولد عداءً شديداً لجبهة النصر وعناصرها. غادر البوكمال بعدها متجهاً إلى مناطق في ريف الحسكة، ليقاتل - مع لوائه - ضمن ما عرف آنذاك بالوية أحفاد الرسول، واتهم بارتكاب جرائم قتل وأعمال نهب وسرقة واسعة في قرى كردية ستكون

سبباً في إشعال فتنة عربية كردية في تلك المناطق، أجهها لاحقاً لتنظيم داعش بعيد بروزه على الساحة.

أواخر العام 2013 بايع الجمال تنظيم داعش، وظهر في شريط فيديو مصور يعلن فيه (توبته) وبيعته للتنظيم، ليصير بعد ذلك أحد قاداته البارزين، بسبب نزوعه الدموي، ورغبته بالانتقام من المجتمع الثوري الذي رفضه بسبب سلوكه المشين؛ ثم قاد الجمال في نيسان عام 2014 هجوماً غادراً لداعش على مدينة البوكمال وقتل نحو (70) من عناصر الجيش الحر، بعضهم أعدموا ميدانياً، وقبل أن ينسحب أمام مقاومة كتائب الحر. في تلك الحادثة سهلت - بقصد أو غير قصد - غارات لطيران النظام على مدينة البوكمال هجوم داعش، وكذلك جاء تواطؤ جبهة النصر مع التنظيم، أو تخاذلها على الأقل عن المشاركة بالتصدي للهجوم. وبعد (3)

أشهر فقط ستساهم "النصرة" بتسليم البوكمال لداعش وبياعه قادتتها. عاد صدام الجمال إلى البوكمال حينذاك، ليبدأ بعمليات الانتقام من جميع أولئك الذين كانوا يقفون في طريقه، وقد اعتقل عدداً كبيراً من أبناء المدينة، ونفذ عدداً من عمليات الإعدام الميداني بحق من يعتبرهم أعداءه... وسوف يُعرف صدام عمر الرخيتة - لاحقاً - باسم أبي عبدة الأنصاري أحد أخطر قياديي تنظيم داعش، الذي تقول المخابرات العراقية إن لديها أدلة تثبت بأنه هو من قام بإحراق الطيار الأردني معاذ الكساسبة، بالإضافة إلى عشرات الجرائم والمجازر التي ارتكبتها... لكن الحقيقة أن اللقاء الذي تواصل "مؤسسة ناس" نشره على حلقات، قد يضل البعض ويوحى بأن صدام الجمال قائد ثوري ثم "جهادي" أسير، لكن أهل البوكمال لن يروا الجمال إلا كما كانوا يرونه دائماً كمهرب ولص وقاتل.

NAS

NAS NEWS EXCLUSIVE

حصرياً
الرهابي صدام الجمال

We made trips in these times to Saudi, Qatar, Emirates, and Jordan



في الرقة بعد الحرب.. آلاف الجرحى بإصابات دائمة وبلا معين

عدنان الحسين

ما تزال مدينة الرقة تنن بالآلام مصابيهها وجثث ضحاياها الذين دفعوا فاتورة إخراج تنظيم داعش منها عبر أجسادهم. وحتى اللحظة أحصت مؤسسات محلية نحو 2505 جثة لمدينين سقطوا جراء المعارك بين تنظيم داعش و"قوات سوريا الديمقراطية" المدعومة من التحالف الدولي، بينها 1988 جثة مجهولة الهوية، بينما لا توجد إحصائية دقيقة لعدد الإصابات التي تجاوزت عدة آلاف.

مدني، على هذه الخدمات وعدم قدرتها على تقديم خدمات أخرى- يراه أهالي المدينة عائقاً كبيراً في طريق استقرارهم في مدينتهم المدمرة. يقول عبدالعزيز المطر (طبيب يعمل في الرقة)، "إن مدينة الرقة تمر بكارثة إنسانية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فالمدينة بحاجة لكل مؤسسة ومنظمة حكومية أو غير حكومية لمساعدة أهالي المدينة، خاصة في تركيب الأطراف وغسيل الكلى، فالوضع الصحي -باختصار- سيء لأعلى درجات السوء، فالمدينة تعاني من انتشار الأوبئة وانتشار الحشرات والجذران والروائح نتيجة وجود الجثث تحت الأنقاض".

"كل الحالات التي جاءتنا كانت قد التقت منظمات إنسانية وطبية تعمل في الرقة، إلا أنها فقط قامت بتصوير الحالات وذهبت ولم تعد لعلاجهم" يتابع عبد العزيز المطر؛ ونتيجة للوضع الطبي السيء أنشأ الطبيب عبد العزيز وفراس ممدوح الفهد وموفق ديب "فريق صناع الأمل التطوعي" بهدف تشكيل فريق إنساني تطوعي وتنسيق العمل، مستهدفين الحالات الحرجة، وخاصة حالات الإعاقات وذوي الاحتياجات الخاصة؛ والمؤسسون أطباء وعاملون في الشأن الإنساني في مدينة الرقة بعد انسحاب تنظيم داعش

رغم هذه الأرقام الصادمة، إلا أن سوء الأوضاع الطبية في المدينة يزيد من معاناة أهلها، حيث تعمل ثلاث منظمات طبية فقط (أطباء بلا حدود- سيرياريليف- يوبي بي الإيطالية)، وتقدم المنظمات الثلاثة خدمات طبية تتمثل في الرعاية الصحية والعلاج للأمراض وتجهيز بعض المشايخ وافتتاح مستوصفات مجانية وتقديم لقاحات وخدمات أساسية، بينما تغيب عن برنامجها في الرقة خدمات رعاية الجرحى ومعالجتهم وتقديم خدمات طبية نوعية لهم.

فتعمل منظمة أطباء بلا حدود في المدينة على تقديم خدمات أساسية، عبر عيادات خدمات صحية وخدمات الصحة الأولية للنساء، أعلنت المنظمة وقف أعمالها ابتداءً من آخر الشهر الجاري، وقد افتتحت عياداتها قبل نحو أربعة أشهر فقط. بينما تعمل منظمة سيرياريليف على تجهيز بعض المشايخ في الرقة، كإعادة تأهيل مشفى التوليد في المدينة، ومحاولة إعادة تأهيل مشفى الرقة الوطني، الذي مازال حتى اللحظة غير صالح وغير مؤهل. وتقدم منظمة يوبي بي الإيطالية خدماتها للنساء والولادات والرعاية الصحية بالأطفال حديثي الولادة.

اقتصار عمل هذه المنظمات الطبية في المدينة، التي باتت تحوي نحو 200 ألف

منها وسيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" عليها.

أحصى "فريق صناع الأمل" أكثر من 130 حالة تم توثيقها في مدينة الرقة، وهي حالات بتر أطراف لمدينين نتيجة الألغام والقصف، وبعد عمليات الإحصاء وتقديم المساعدة لأحد الأطفال المصابين، وسّع الفريق عمله، وضمّ عدداً من المتطوعين، وتبرّع عدد من الأطباء في مساعدة الحالات التي تصلهم ويمكنهم مساعدتها.

انتشار اسم الفريق على وسائل التواصل الاجتماعي جلب لهم مئات الحالات المساوية من الرقة وريفها، منها حالات جاء أصحابها إلى مكاتب الأعضاء، ومنها من ذهب أعضاء الفريق لمساعدتهم. "كل حالة منهم أسوء من التي تليها" بحسب ما يقول فراس ممدوح الفهد، أحد أعضاء الفريق الذين أكدوا على عدم وجود أي دعم لهم إطلاقاً، فعملهم "مجهود شخصي وتكاتف من عدة أشخاص"، والحالات التي قاموا بمساعدتها هي حالات تعدّ على أصابع اليد، بينما هناك نحو 1300 حالة إصابة دائمة أو عجز أو بتر، وتثق منها الفريق 130 حالة فقط.

لا يقتصر عمل الفريق على تأمين الأطراف الصناعية للمصابين، بل بعد تعاون عدد من الأطباء من أهالي الرقة معهم، بدأوا بإنجاز عملية تجميلية، بحسب الإمكانية المتاحة للمصابين بحالات تشوه نتيجة الألغام أو القصف السابق على المدينة، كما هناك جانب آخر يعمل عليه الفريق، وهو تأمين العلاج الدوائي-وليس الكيماوي- لمرضى السرطان بشكل مجاني لمن هم دون الـ20 عاماً.

وقدرت منظمة الصحة العالمية واللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (OHCHR) التابعة للأمم المتحدة، أن "هناك 30 ألف مصاب كل شهر بسبب الحرب في سوريا، بعد أن خلفت مليون ونصف المليون مصاب بإعاقة دائمة، من أصل 3 ملايين شخص أصيبوا منذ العام 2011" في تقريرها الصادر نهاية العام الفائت 2017.

"يا حيف
هالأرض يصير
فيها هيك" يقول
أبو محمد، أحد
مزارعي المنطقة،
حيث لم يكن سهل
الغاب بهذه الصورة
من قبل. فما يمتد أمام
الناظر كأرض جرداء،
كانت مكسوة باللون
الأخضر على مدار العام، لكن
سنوات الحرب التي عاشتها
المنطقة تركت أثراً واضحاً
ومدمراً فيها.

مداولة لقصف النظام لقرب سهل الغاب

الحرب والنزوح أفقدت سهل الغاب خضرته الدائمة

■ محمد الأسمر

من جانبها سعت المنظمات الإنسانية والهيئات العاملة في مجال الأمن الغذائي لتنفيذ مشاريع خاصة بالواقع الزراعي، بهدف تشجيع الناس على الزراعة، والتخفيف من حالة التصحر التي تجتاح مزارع سهل الغاب الشمالي. يقول المهندس أيمن مرعي (مدير مكتب منظمة إحسان في ريف إدلب الجنوبي): المزارع في سهل الغاب بحاجة ماسة لشتى أنواع الدعم الزراعي، من بذار وأسمدة ومعدات زراعية، بالإضافة لتأمين مصاريف الري، والتي تعتبر الضرورة الأكثر إلحاحاً.

حاولت منظمة إحسان من خلال عدة مشاريع المساعدة في الارتقاء بالواقع الزراعي، يكمل المرعي، "مثل تنظيف قنوات الري التي كانت مغلقة بزهرة النيل (نوع من أنواع الأعشاب بنبت في المجاري المائية ويقوم بإغلاقها بشكل كامل) بهدف إعادتها للعمل من جديد، كما قمنا بتوزيع البذور المحسنة على المزارعين بالإضافة للأسمدة الداعمة بهدف الحصول على إنتاج أكبر".

"لكن تبقى عملية الري الأكثر إلحاحاً، يستدرك (المرعي)، "ولن تعود الزراعة في سهل الغاب ما لم يتم تأمين موارد مائية جيدة"، عن طريق إعادة تأهيل مضخات الري، والاستفادة من قنوات الري الموجود بشكل صحيح. ويؤكد في النهاية أن التنسيق الصحيح بين المنظمات العاملة في مجال الأمن الغذائي والمجالس المحلية له دور كبير في رفع سوية الواقع الزراعي في سهل الغاب، والذي يعتبر اليوم سلّة غذائية للشمال المحرر بشكل كامل، ومن واجب الجميع السعي لنهضته.

العملية الزراعية. فتوقف معمل سكر جسر الشغور عن العمل، وكان يستهلك كامل إنتاج سهل الغاب من محصول الشوندر السكري، كما توقفت المحالجات التي كانت تستقبل كامل محصول القطن، ما أدى لتراجع هذين المحصولين؛ لأن تصريف تلك المنتجات في مناطق النظام سيكون بكلفة مرتفعة ولن تعود على الفلاح بأي جدوى اقتصادية. كل ذلك ترك آثاره على طبيعة العملية الزراعية والمحاصيل التي تناسبها؛ حيث أجبر الكثير من المزارعين على الالتفات إلى الزراعات الموسمية التي تعتبر ذات تكلفة ومجهود أقل مثل القمح والشعير..

المياه التي كانت تتوفر في سهل الغاب من أهم العوامل التي أدت لازدهاره زراعياً، بحيث شكّل في مرحلة من المراحل سلّة غذائية مهمة في سوريا، لكن غياب مياه الري أدى لتراجع الزراعة بشكل كبير، وتحولت الكثير من المزارع لأراضي قاحلة، حسب مصعب الأشقر الناشط الإعلامي من المنطقة. فقد غابت مياه الري عن الغاب الشمالي، بعد قيام قوات الأسد سنة 2012 بسرقة وتعطيل محطات الضخ الموجودة على نهر العاصي، والتي كانت تقوم بتزويد سد (قسطون) بالمياه، ويعتبر المورد الرئيسي للمياه في ناحية الزيارة، فتبدد مخزون السد، ما تسبب بانحسار مساحة الأراضي المروية بدرجة كبيرة، لأن المزارع يعتمد اليوم في عملية السقاية على الآبار الارتوازية التي تكلف مبالغ كبيرة أثناء تجهيزها واستخراج المياه.

سهل الغاب منطقة زراعية خصبة تمتد من قلعة المضيق جنوباً حتى أطراف جسر الشغور في الشمال، وتقسم إلى منطقتين إداريتين تتبع لهما كل قرى وبلدات سهل الغاب: ناحية قلعة المضيق، وتعرف تلك المنطقة بالغاب الجنوبي، وناحية الزيارة، وتعرف بالغاب الشمالي. والأخيرة هي الأكثر تأثراً بالحرب، حيث غدت أغلب أراضيها قاحلة، وإن زرعت تزرع بالمحاصيل الموسمية، نتيجة نزوح غالبية أهلها من جهة، وغياب مياه الري من جهة أخرى. أما منطقة الغاب الجنوبي فكانت أفضل حالاً، حيث ساهم وجود سد قلعة المضيق في ذلك، بالإضافة لاقترب نهر العاصي من أراضيها، الأمر الذي أمن مورداً مائياً لها.

يقول المهندس الزراعي عسان عبود، رئيس دائرة الزراعة بسهل الغاب: "ظروف الحرب والقصف الذي استهدف قرى سهل الغاب أجبر الكثير من أهالي المنطقة على الرحيل منها، وترك أراضيهم بدون زراعة، مما انعكس بشكل كبير على الواقع الزراعي في منطقة الغاب الشمالي، حيث كانت تزرع في سهل الغاب مساحة أكثر من عشرة آلاف ومئة هكتار بمختلف المحاصيل الاستراتيجية من القطن والشوندر السكري والتبغ والذرة والخضار بمختلف أنواعها. بينما تقتصر العملية الزراعية اليوم في سهل الغاب على زراعة الحبوب التي تعتمد بشكل رئيسي على مياه الأمطار".

يرى (العبود) أن غياب الدعم الإرشادي وتعطل الوحدات الإرشادية والمؤسسات الصناعية ساهمت أيضاً بتأخر

إلغاء الاحتياط... قرار فتح أبواب السجن الاختيارية في الساحل

مراد الحجي

خلال الأيام السابقة استعادت شوارع مدن وقرى الساحل فئة عمرية كانت مفقودة، لا تظهر للعيان إلا بعد مرسوم عفو يصدره الأسد بين حين وآخر. ففي الساحل السوري يعيش آلاف الشبان في منازلهم منذ سنين رافضين الالتحاق بالاحتياط، ويتابعون الأخبار يومياً بانتظار "مكرمة" لن تخرج عملياً إلا بطلب روسي.

يقول أحمد سويدي (متخلف عن الالتحاق بالاحتياط): "منذ أربع سنوات تم طلبي ولم ألتحق، قضيت تلك السنين في بيت أهلي أحياناً، وفي منازل إخوتي عندما تتكاثر دوريات الشرطة العسكرية وتسري أنباء عن اقتحام منازل. أكثر ما يخيفني كانت مصادفات تجمعني ولو بنظرة مع أصدقاء ملتحقين، كان بود بعضهم أن يسوقني بسلاحه إلى الجبهة، فكيف أرفض الدفاع عن الوطن؟". ويتابع "أعرف تماماً أن هناك في الأجواء المحيطة من لا يريد صدور هذا المرسوم أساساً، لأنه يشكل راحة للخنوة، هناك من يفضل عودتنا أشلاء مجمعة ضمن صناديق خشبية عليها علم الوطن، على أن يرانا جالسين في المنزل نرفض القتال".

تشكك وسائل إعلامية وخبراء بالشأن العسكري بجديّة قرار إلغاء الاحتياط، فقد يكون هذا القرار نابعاً من عدم جدوى مراسيم العفو في جذب فارين من الخدمة الإلزامية، لكن مع القرار الخلبي فسيكون هناك بنك جديد من البيانات التي ستقوم أجهزة النظام الأمنية والعسكرية على أساسها باعتقال الجميع وسوقهم إلى الجبهات.. كما يحلل غير المصدقين، وليس غريباً أصلاً على النظام اتباع أسلوب المصيدة، والقبض على غير الملتحقين بطريقة ناعمة مقننة لا تأخذ صدى كبيراً في وسائل الإعلام.

فما إن صدر المرسوم حتى عاد آلاف الشبان لتنفس هواء الخارج أمام أعين السلطات، وبعضهم عاد إلى عمله الذي إما حاول الاستمرار به متخفياً، أو تركه نهائياً خلال الفترة السابقة، وربما كان الشهران اللذان سبقا المرسوم أقل وطأة على غير الملتحقين، كون دوريات الشرطة العسكرية خفت من حضورها في الشوارع، وكون الحواجز خفت من حدة التدقيق على الشبان خلال العبور. فبات من المأمول إصدار قرار نهائي يعفيهم من الالتحاق، مع قناعة دوائر النظام العسكرية أن من لم يلتحق خلال السنوات الأولى من الحرب لن يلتحق حالياً.

على أن النقاش الشعبي مع تخوين من لم يلتحقوا بالخدمة، مع بعض استثناءات بالطبع، لكنها لأصوات ضعيفة تسوق تبريرات بأن هناك من لديه أسبابه في عدم الالتحاق، خاصة وأن طلبات التجنيد لم تبق ولم تدر، لكن هذه التبريرات تتلاشى أمام وبين المقاتلين الملتحقين من مجندين ومتطوعين، والذين يشكلون مصدر رعب لغير الملتحقين أكثر مما تشكله دوريات الشرطة العسكرية، حتى أن أغلب من تم القبض عليهم من الفارين وغير الملتحقين كانوا ضحية بلاغات أمنية من قبل أقرانهم المقاتلين، الذين يجدون أنفسهم على الجبهات يومياً، فيما يلتزم سواهم المنزل رافضاً القتال.

وهو ما بات ملاحظاً في قرارات الشأن العسكري، حيث يقف مطار حميميم وراءها، بينما تأخذ صيغتها القانونية من مكتب الأسد، سواء بانتشار قوات معينة وسحب أخرى، أو بتسريح وتجنيد فئة معينة.

مظاهر الارتياح بين المطلوبين لخدمة الاحتياط بدأت بالظهور بعد سلسلة من مظاهر أخرى توجتها قرارات رسمية، أولها "توجيهات" من رئيس النظام بشار الأسد جعلت وزارة دفاعه تصدر تعميماً برفع الملاحقة عن المطلوبين لخدمة الاحتياط وإعفائهم من هذه الخدمة، التعميم الذي بدأ التمهيد له على لسان وزير الدفاع علي أيوب في كلمة ألقاها مؤخراً في "مجلس الشعب" - ينتظره الآلاف من المقاتلين على جبهات القتال أو المتوارين عن الأنظار منذ سنوات في منازلهم، وحتى من فروا من البلاد.

ربما ما أعطى هذا التعميم شكلاً منطقياً قابلاً للتصديق - قبل القرار الرسمي - هو انتشاره بعيداً إصدار رئيس النظام مرسوماً بالعفو عن الفارين من الخدمة، وإعطائهم مهلة 4 شهور للالتحاق لمن هم في سوريا، و6 شهور لمن هم في الخارج، المرسوم الذي ليس من المتوقع أن يجني ثماره المأمولة بأن يلتحق الفارون، كان له بالتأكيد أثر إيجابي على المتوارين عن الأنظار للخروج خلال المدة المحددة من منازلهم، وحوصلهم على حرية التنقل، وإن لفترة وجيزة.



كلية الطب في جامعة إدفو وكادرها المتفائل رغم الظروف عميد الكلية: استطعنا الوقوف على بعد واحد من جميع الفصائل العسكرية

بعدة الكاتب

شمس الدين مطعون ■ في إدفو، وقرب الملعب البلدي، يقع مبنى لم يستكمل بناؤه بعد، وسبق أن كان تكنته لقوات الأسد قبل تحرير المدينة. بمبادرة من جامعة إدفو، وبمساهمة إدارة معبر باب الهوى، استكملت أجزاء من المبنى لتصبح مبنى لكلية الصيدلانية، ولاحقاً لكلية الطب التي تأسست في العام الدراسي 2016.

كلية الطب في جامعة إدفو، بعد أن حازت الكلية على اعتراف (الاتحاد الدولي للتعليم الطبي)، وهي منظمة غير ربحية أسست عام 1995، تسعى لتطوير الابتكار في تعليم الطب على المستوى العالمي، وتعتبر أكبر هيئة دولية متخصصة في التعليم الطبي، وترتبط بمنظمة الصحة العالمية؛ حيث ذكر الاتحاد عبر موقعه الرسمي أن هذا التصنيف جاء وفقاً لمعايير تمكنت كلية الطب في إدفو من تلبيةها.

"طبعاً هذا الاعتراف لم يأت بسهولة، ولا تستطيع أي جامعة الحصول عليه دون تحقيقها لشروطه، وقد عملنا لمدة تزيد على شهرين، كانت مرحلة من العمل والجهد الكبير من الكادر والعاملين في الكلية ورئاسة الجامعة ومجلس التعليم العالي، فقمنا بتجهيز البنية التحتية والمخابر وتوثيقها بالصور وإرسالها للاتحاد متضمنة الوثائق المطلوبة، كما أن دخول الكلية في سجلات التصنيف الإسباني للجامعات ساعد في وصولنا لهذا الاعتراف، والذي لا يعتبر اعتراف دولي، ولكنه خطوة سبقة على الطريق الذي نسعى للوصول إليه" يشرح الدكتور عميد الكلية. وعن طموحات الكادر في الكلية يتحدث "عوامل كثيرة ستسهل دخول الجامعة لتصنيفات دولية مستقبلاً، واستقلاليتنا أهمها، من وجهة نظري، بعد أن استطعنا الوقوف على بعد واحد من جميع الفصائل العسكرية الموجودة، والتي سيطرت لفترة على قرارات الجامعة" ويتابع "نعمل على توصيف منهاج من عدة مراجع عالمية وعربية نحاول اعتمادها لتوافق المرحلة الحالية، وبعد فترة سيكون لنا منهاجنا الخاص. ورغم أن قلة الكوادر التعليمية مشكلة تعاني منها جامعة إدفو، لكن بالنسبة لكلية الطب فإن كوادرنا بإمكانهم تغطية هذا النقص".

تجاوز عدد طلاب كلية الطب لهذا العام 700 طالب لكافة السنوات الدراسية، بالإضافة لعدد من الطلاب المستكملين الذي رفدوها من جامعات تتبع للنظام. وتعتمد كلية الطب على التمويل الذاتي وبعض التبرعات غير المشروطة، كما يشرح عميدها، وتبلغ قسوة الكلية 200 دولار سنوياً، و400 دولار للتعليم الموازي، ويحاضر فيها تسعة مدرسين حاصلين على درجة الدكتوراه، إلى جانب 24 مدرساً من الحاصلين على درجة الماجستير أو من ذوي الخبرة من حملة الإجازات الجامعية في الطب.

عند مدخل الجامعة، بينما طالبات تدخلن، وقف حارس المبنى يصد الشبان عن الدخول، ويكرر "اليوم دوام الإناث، لا يمكنني أن أسمح لكم بالدخول، هذه تعليمات العميد". قرار فصل الذكور عن الإناث في جامعة إدفو عموماً جاء بناءً على رغبة مجلس إدفو، والذي يعبر عن ميول فصائل عسكرية على رأسها هيئة تحرير الشام؛ لكن الجامعة حافظت على هذا القرار، رغم استقلال قرارها، كما أخبرنا بذلك عميد الكلية. لكن لم يكن غرض الشبان مقابلة البنات، وإنما تأخر بعضهم عن التسجيل ويصرّ على الدخول خوفاً من عدم قبوله.

وفي حرم الجامعة، كانت القاعات تعج بالطالبات، ويُسمع جيداً أصوات مدرسين يتلون محاضرات، وتغص مكاتب الإداريين بالمراجعين. وسط ذلك الانشده يصعب إيجاد مكتب عميد كلية الطب الدكتور أحمد أبو حجر، عدا أن المكتب غير واضح، فهو لا يحمل لافتة خارج الباب، أو يظهر أنه مختلف عن بقية المكاتب، ويقع في الطابق الثالث من المبنى.

في مكتب العميد جلست فتيات ثلاث، ومن حركة أيديهن يظهر أنهن يتقدمن بالشكوى للعميد على أمر معين، وكان الدكتور يهز برأسه مبتسماً، ويضع إصبعه على عينه اليسرى ويمررها على العين الأخرى، في حركة تقول "من عيوني". ولم يجلس أبو حجر خلف مكتبه إلا عندما طلبنا منه صورة لترفق مع اللقاء، وكان يحدثنا طوال فترة الزيارة على كراسي الضيوف حيث أجلسنا.

"خلال العامين الماضيين" يقول أبو حجر "إنجازنا -من وجهة نظري- افتتاح الكلية ذاتها في ظل الافتقار للدعم، وافتتاح 14 مخبراً تتوزع بين التشريح الوصفي والفيزيولوجيا، بالإضافة لمخابر الأحياء الدقيقة والجراثيم ومخابر الأدوية، ومخابر كيمياء حيوية وعضوية، وكلها تحقق متطلبات المادة العلمية للطالب". وقد جهزت الكلية بقاعات تدريسية تستوعب أعداداً كبيرة من الطلاب، "فاستقبال الجامعة في عامها الأول قرابة 500 طالب وطالبة، إنجاز بحد ذاته في ظروف أقل ما يمكن وصفها بغير المستقرة" يتابع الدكتور أبو حجر عميد كلية الطب.

اضطرت الكلية لهذا العام إلى رفع معدل القبول لدرجة 236 بدلاً من 227 في العام الماضي، نتيجة الإقبال المتزايد، بحسب الدكتور أبو حجر، الذي يرى هذا العام مميزاً بالنسبة لطلاب



«حراس الدين» في إدلب «دواعش» وقنبلة موقوتة

من معرفات التنظيم

القاعدة وليدة سنوات الثورة السورية، فالطوباسي، فلهما تاريخ حافل مع التنظيم، وكانا مسجونين في إيران إلى جانب قياديين بارزين في القاعدة، منهم محمد صلاح الدين زيدان الملقب بـ"سيف العدل"، والوريث المحتمل للظواهري "حمزة" نجل أسامة بن لادن زعيم التنظيم السابق، أفرج عنهم جميعاً في صفقة تبادل غامضة تمت بين قيادة القاعدة وإيران في وقت غير مؤكد قبل العام 2015.

أما متزعم تنظيم "حراس الدين" فهو نجل "مرشد سمير حجازي" الملقب بـ"عطية الله الليبي"، الذي تويّف إثر هجوم بطائرة من دون طيار في باكستان في شهر آب 2011 بعد أن كان مبعوث أسامة بن لادن إلى إيران في مرحلة من المراحل.

وبحسب الخطيب، فإن قيادة التنظيم استغلت الاقتتال الذي دار بين هيئة تحرير الشام وجبهة تحرير سوريا، مطلع العام الجاري، لتعلن عن تشكيل فصيلها، في محاولة منها لجذب مقاتلي الفصيلين إلى صفوفهم، "مدعين أنهم يعملون على فتح عمل عسكري لنصرة درعا والغوطة الشرقية آنذاك، إلا أن رايات تنظيم القاعدة التي ظهرت بيد جماعات جيش البادية وجيش الملاحم أثناء المعارك -التي كانت تدور في ريف حماة الشمالي والشرقي قبل إعلان التشكيل ببضعة أسابيع- تظهر استغلالهم للأحداث الجارية". محملاً الخلايا النائمة التابعة لتنظيم حراس الدين مسؤولية الاغتيالات الغامضة التي استهدفت كواد ومقاتلين من هيئة تحرير الشام والحزب الإسلامي التركستاني،

أحمد عبید ■ "إننا لم نجاهد ونحمل السلاح ليزول طاغوت فيحل مكانه طاغوت آخر" بهذه الكلمات افتتح تنظيم "حراس الدين" الإسلامي العامل في ريف إدلب بيانه الذي نشره عبر معرفاته الرسمية في مواقع التواصل الاجتماعي قبل فترة، ليعلن فيه رفضه التام لاتفاقية سوتشي التي أبرمت بين تركيا وروسيا.

المدينة: "بدأ التحريض لتشكيل التنظيم من قبل قياديين معروفين بولائهم لقيادة تنظيم القاعدة، الذين عملوا ضمن صفوف هيئة تحرير الشام لعدة سنوات، وانشقوا عنها على قسمين: الأول عندما أعلن "الجولاني" انفصاله عن القاعدة عام 2016 بالتفاهم مع قيادتها، والثاني انشق عقب تسجيل صوتي خرج فيه زعيم تنظيم القاعدة "أيمن الظواهري" في تشرين الثاني 2017، واتهم فيه الجولاني بنكث البيعة، على خلاف ما قاله الأخير آنذاك، ما أدى إلى نفور موالي القاعدة ودفعهم للانشقاق عن النصرة والتطلع إلى تشكيل تنظيم قاعدي جديد يحل مكان النصرة في سوريا".

وبحسب الخطيب، يضم "حراس الدين" بين 2500-3000 مقاتل بأسلحتهم الخفيفة والمتوسطة مع تسليح جزئي ثقيل، وينتشرون في مساحات ضيقة من ريفي إدلب الشرقي والغربي. ويتزعم الفصيل سمير حجازي الملقب بـ"أبوهمام الشامي"، فيما يضم مجلس الشورى للتنظيم عدد من الأسماء القاعدية المعروفة من غير السوريين، ومن بينهم إياد الطوباسي الملقب بـ"أبو جلييب طوباس"، وخالد العارودي الملقب بـ"أبو القسام"، وسامي العريدي وأبو خديجة الأردني وأبو عبد الرحمن المكي. لم تكن علاقة حجازي والطوباسي والعارودي مع قيادة تنظيم

وحذر التنظيم في بيانه مما أطلق عليها "المؤامرة الكبرى" داعياً الفصائل العسكرية العاملة في المنطقة إلى رفض الاتفاق وعدم التفريط بالسلاح والأرض، وإعادة ترتيب ما تبقى من قوة وإمكانات والبدء بعمليات عسكرية لإفساد هذه المخططات، مضيفاً: "تمر ساحة الجهاد في بلاد الشام هذه الأيام بمرحلة حاسمة وخطيرة اجتمعت فيها قوى الشر والكفر العالمي للقضاء على مشروع الجهاد فيها". ودعا البيان أيضاً أصحاب الأموال في البلاد الإسلامية للبدل "في سبيل الله ودعم الجهاد الشامي"، معتبراً ذلك واجب عليهم لنصرة المستضعفين في الأرض.

في 27 شباط من العام الجاري، أعلن عن تأسيس فصيل "حراس الدين" وتشكل من اندماج فصائل ومجموعات مختلفة، جاء على رأسها "جيش الملاحم وجيش الساحل وجيش البادية وسرية كابل وجند الشرقية"، وغيرها من المجموعات التي كانت تنطوي تحت راية هيئة تحرير الشام "جبهة النصرة" سابقاً. وبحسب ما جاء في بيانه الأول، فإنه "تنظيم إسلامي ولد من رحم الثورة السورية، يهدف إلى نصرة المظلومين وبسط العدل بين المسلمين".

يقول القائد العام لـ"ألوية الفرقان" محمد ماجد الخطيب لعين



وغيرهم من الفصائل والفعاليات المدنية في المنطقة، مبيناً براعتهم في تكتيك حرب العصابات والاعتقالات على الدراجات النارية والتضجيرات التي تتيح للتنظيم تأدية دور مزعزع للاستقرار، الأمر الذي يساهم في تعزيز قوته.

بين الأهالي في مناطق نفوذ "حراس الدين"
 لم يستغرق التنظيم وقتاً طويلاً ليصدر قوانينه الخاصة في المناطق الخاضعة لسيطرته، وسرعان ما بدأ بأعماله التخريبية ليثبت نفسه، وبيث الرعب في قلوب الأهالي. وبحسب الناشط الإعلامي عبد الوهاب أحمد، فإنه في الوقت الذي كانت تشتعل فيه جهات ريف إدلب الشرقي والجنوبي، أرسل التنظيم مجموعة من عناصره إلى مقبرة مدينة سراقب في ريف إدلب، وعملت على تهديم القبور المرتفعة عن الأرض، والشواهد التي من شأنها التعريف باسم المتوفى وتاريخ وفاته، مبررة ذلك بأنها "بدعة" وسبب من أسباب تأخير النصر.

وتابع عبد الوهاب: "داهم عناصر التنظيم مقر جامعة ابيلا في ريف المحافظة، واعتقل عدداً من العاملين فيها على خلفية حفل التخرج الذي أقامته الجامعة قبل أشهر، وأصدر قوانين في المدارس الابتدائية والثانوية الموجودة في مناطق سيطرته، أجبر فيه الطالبات على لباس شرعي بحسب نظرتهم، مهدداً بطرد من تمتنع عن الالتزام به"، مضيفاً أنهم منعوا المدنيين من الخروج في مظاهرة بريف جسر الشغور كغيره من أرياف المحافظة في جمعة "الحرية" للمعتقلين"، وذلك من خلال نشر عناصره على أبواب المساجد وفي الساحات العامة،

وسوتشي- تسعى جاهدة لإنهاء "الجهاد في أرض الشام"، ومن ثم ملاحقة "المجاهدين الصادقين" الراضين لهذه المؤتمرات وتسليمهم للروس والنظام، و"واجب علينا الالتزام بالجهاد ومتابعته حتى النصر أو الشهادة" بحسب ما نقل الشاب. وفي نفس السياق، يقول مدير المكتب السياسي لـ "لواء المعتصم" العامل في ريف حلب الشمالي، مصطفى سيجري، لعين المدينة: "بصرف النظر عن سبب رفض الاتفاق الذي لا يعلم مبرره إلا قيادة التنظيم، إلا أنه لا يخدم سوى مصالح قوات النظام المتربصة الطامحة في دخول المنطقة والسيطرة عليها". ويرى "سيجري" أن وجود التنظيم وسياسته تبقى مبرراً للنظام وحليفه الروسي، الذي يحاول إقناع العالم أنه يحارب الإرهاب في سوريا، ووجود هكذا تنظيمات "يعتبر العائق الأكبر في وجه العملية السياسية التي من شأنها أن تحقق الأمان لعامة الشعب، وتحقق مطالبه الرئيسية التي خرج من أجلها".

مدعياً أن التظاهرات تدعم الاتفاق التركي الروسي.
 "ليش بيعرفوا الدين ليحرسوه"
 هكذا عبر أبو أيمن (46) عاماً عن رأيه بـ "حراس الدين" في مناطق نفوذهم بريف ادلب، مبيناً أنهم يعيشون في ظل قوانين متشددة تفرض على الجميع، كإجبار الأهالي على ارتداء ألبسة بمواصفات محددة، ومنع بيع بعض المنتجات كالسجائر وتوابعها. يقول أبو أيمن: "أشو بدهن بنسواننا ليقرررو شو بدنا نلبسهن! أشو ما فينا كرامة لنطاع النسوان بلبس مو كويس! يدشوا هالعباد بحالها وكل مين له نبي بيصلي عليه".
 وعن مبررات التنظيم لرفض الاتفاق، يبين أحد عناصره (رفض التعريف عن اسمه) لعين المدينة، أن أمير جماعتهم أوضح للعناصر أن الفصائل العسكرية الموالية لتركيا، والموافقة على المشاركة بالمؤتمرات الدولية كأستاتة وجنيف



يوماً ما في داريا..

المعارك الكبرى والحصار الطويل حتى الإخلاء

Sputnik News

■ محمد كساح

تجاوزت الساعة الثامنة مساءً، عندما كنت أمشي مع أحد الأصدقاء في الشوارع المعتمة لداريا. لم تكن الكهرباء قد قطعت عن المدينة بعد، ولكن حالة الخوف والتوجس التي سيطرت على الناس جعلتهم يطفئون الأنوار، فجيش النظام احتل المنطقة الشرقية، وقناصاته التي نشرها على الأماكن العالية من الكورنيش القديم شلت الحركة في المدينة، بعد أن قتلت العديد من المدنيين.

عقب المعركة بدأت التحضيرات السريعة لمواجهة ردة فعل النظام: أقيمت سواتر ترابية متواضعة على حدود المدينة، ودعمت النقاط التي يحتمل دخول النظام منها بالمقاتلين، واستعدت داريا لأكبر وأطول معركة بدأت مع نهاية تشرين الثاني.. خلال الأشهر الأولى للحملة عدت داريا أشبه بشعلة هائلة من اللهب؛ القصف لم يهدأ ليل نهار، وأخذ النظام بالضغط على عدة جبهات لاستنزاف الثوار؛ طال قصف الرجمات والمدفعية والمقاتلات الحربية جميع الأحياء المكتظة بالسكان، ما أجبرهم على النزوح إلى خارج المدينة، ليبقى قرابة 2 بالمائة من السكان الذين يتجاوز تعدادهم 300 ألف نسمة.

وفي أحد الأحياء المجهزة بتجهيزات بسيطة، كان "أبو علي" وعدد من رجال المدينة مع عائلاتهم يجلسون طوال الليل، وعند اشتداد القصف خلال النهار. كانت الصغيرة رانيا، الطفلة المدللة لأبو علي، لا تزال تحبو. أحبها الرجال كثيراً، وجعلوا من ملاعبتها تسلية لهم المفضلة.. لعل الصوت المريح لمقاتلة الميغ، فصرخ الأطفال وبكت رانيا لبكائهم؛ سعى الجميع لتهدئة أطفالهم، لكن القصف لم يهدأ في تلك الليلة التي أعقبت هجمات النظام على جبهة القرية في داريا، أحصيت حينها سقوط 500 قذيفة، إضافة لست غارات حربية، وعشرات الصواريخ الأرضية ليوم واحد.

في ساعات الصباح الأولى يهدأ القصف، فكان المدنيون يستغلون هذه الساعات لمغادرة المدينة، وهذا ما فعله أبو علي في أحد صباحات كانون الأول الباردة؛ خرج مع الفجر، لكنه عاد عند التاسعة صباحاً وهو في غاية الإرهاق، بينما امتلأت ثيابه بالدماء؛ دخل الرجل ومعه أطفاله، لكن الصغيرة رانيا لم تكن موجودة، وغابت الأم أيضاً. وكان قد حاول مغادرة المدينة منذ ساعات الفجر الأولى، لكن طلقات غادرة من أحد قناصي النظام أصابت السيارة، وكانت النتيجة المؤلمة تمزيق جسد الطفلة، وإصابة أمها بجروح خطيرة.

أمام الآلة العسكرية الهائلة لدى قوات النظام، لجأ الثوار إلى التفخيخ، بزرع العبوات الموجهة وغير الموجهة في طرق

بين منتصف العام 2012 وحتى الثامن من تشرين الثاني في ذلك العام، تاريخ بدء الحملة العسكرية على داريا، كانت المدينة تعج بالمقاتلين، من أبناءها ومن المناطق القريبة والبعيدة، المتمركزين في أماكن متاخمة لمطار المزة العسكري. سرعان ما كان يغادر النظام بعد تمشيط عدد من الأحياء وقتل واعتقال العشرات. هذه المرة كان دخوله مغايراً، فاحتلت قواته منطقة (مشرق) وأقامت السواتر الترابية في منطقة الفران الآلي على الكورنيش القديم، وأجبرت طلقات القناصين الأهالي على إغلاق محالهم التجارية والمكوث في البيوت.

توقفت إحدى السيارات التابعة للثوار إلى جانبي، وفي محادثة لم تستمر سوى دقائق، قال لي فيها صديقي المقاتل إلى يمين السائق "الليلة بإذن الله سيكون الشغل"، وبدا واضحاً أن ساعة المعركة المرتقبة قد حانت. هرولت بسرعة كبيرة لإحضار الكاميرا، بينما كانت سيارة صديقي تغيب في الظلام الدامس. بعد أن أحضرت الكاميرا أكملت جولتي باتجاه منطقة قريبة من المكان الذي سيشهد هجمات الثوار. على الطريق كانت همسات مقاتلين مسموعة وسط الظلام؛ العديد منهم تجمعوا ضمن حلقات صغيرة على مداخل الأحياء وفي زوايا الأزقة؛ كان جميع الشبان المجهزين بأسلحة خفيفة لا تتعدى بنادقيات الكلاشينكوف وبعض رشاشات بي كي سي وقواذف آر بي جي-متأهبين للانقضاض على قوات النظام في أي لحظة؛ وهذا ما جرى بالفعل، فقد أبيت قوات النظام بعناصرها ودباباتها في المعركة التي دامت طوال الليل. عملت وقتها في تصوير مشاهد من المعركة. والعجيب أن معظم المقاتلين الذين التقطت لهم الصور، أو أجريت معهم مقابلات خلال المعركة بل وحتى أثناء الأشهر التالية، إما استشهدوا أو أصيبوا بعد عملية التصوير، لدرجة أن البعض كان يرفض التصوير خوفاً من هذا الفأل السيء. وبعد عدة أشهر تعرضت الكاميرا للتلف، وفقدت عشرات التسجيلات المصورة التي وثقت بعض مشاهد المعارك الأولى والعديد من الشهداء.



سهلة للثوار، وهذه الطريقة تعتبر إحدى أبرز الوسائل الدفاعية التي تدرب عليها المقاتلون.

بعد عدة أشهر من القتال المستمر هدأت المعارك لبعض الوقت، وبين مطلع العام 2013 وحتى شهر نيسان في ذاك العام، تمكن الثوار من تأسيس تحصينات قوية، تألفت من سواتر ترابية وأنفاق وخنادق ودشم؛ واتفقت الفصائل المقاتلة على توزيع نقاط الرباط في محيط المدينة بالكامل.

ولم يخل الأمر من بعض هجمات يشنها الثوار لتوسيع رقعة السيطرة، أو كسر الحصار الخانق الذي فرضه النظام منذ الأشهر الأولى؛ كانت معركة (تهيب داريا) التي انطلقت في آب 2015 أكبر المعارك الهجومية، حيث تمكن الثوار من السيطرة على مباني "الجمعيات" ذات الطوابق العالية التي تطل على مطار المزة. ومع بداية 2016 بدأت المرحلة الأخيرة من حملة داريا، بعد أن تمكن النظام من الفصل بين داريا ومعضمية الشام (دخلت في هدنة مع النظام بدءاً من العام 2014، موعد اختياري للبقاء فيها) التي كانت المتنفس وخط الإمداد الوحيد إلى داريا، وخاصة مع خسارة الأراضي الزراعية في منطقة "المغرب" ليحكم الحصار على 700 مقاتل تقريباً ومعهم عشرات المدنيين داخل ما تبقى من الأحياء المدمرة، والى حين الاتفاق على إخلاء المدينة آخر شهر آب في العام 2016.



طريق مدخل دمشق المار بالدوار ومنطقة التربة ثم ساحة شريدي، وسرعان ما سيطر النظام على هذه المنطقة الحساسة، وعلى جزء كبير من الكورنيش القديم وطريق داريا-المعضمية، وهنا وقعنا نحن المرابطين على جبهة الكورنيش الجديد المطلة على مطار المزة في الحصار الذي استمر لثلاثة أيام؛ ثم قررنا الانسحاب من النقاط في إحدى الليالي المظلمة: سار أكثر من ثلاثمائة مقاتل مخترقين عدة تحصينات للنظام باتجاه عمق داريا.. وبهذا تمكن النظام من السيطرة على جميع



المناطق المشرفة على دمشق والمطار، وتوغل في وسط المدينة، في حين تمسك الثوار بما تبقى منها مع كامل بساتين المنطقة الغربية؛ وعند هذه الخطوط العريضة تجمدت خارطة القوى في المنطقة قرابة أربع سنوات.

ما بين بدء الحملة وانتهائها، شهدت داريا مئات المعارك ذات الطابع الدفاعي؛ ومع ازدياد عدد المعارك امتلك معظم مقاتلي المدينة خبرة لاتضاهى في هذا النوع من المعارك. لم يكن أحد يتراجع خطوة واحدة في أي معركة، حتى ولو تقدمت دبابات النظام؛ كان الجميع يتمركز في مكانه واضعاً أصبعه على الزناد، فمن المعلوم أن أي دبابة تتقدم تخفي خلفها مجموعة من الجنود المقتحمين الذين يغدون بين لحظة وأخرى فريسة

الإمداد والتنقل، لتفجر دبابات النظام وعرباته المدرعة. كانت العبوات تُصنع محلياً من مخلفات القذائف التي لم تنفجر؛ ولقلة الخبرة لدى الثوار، لاسيما في بداية المعركة سقط شهداء أثناء عملية التصنيع. واعتمد المقاتلون في التفخيخ أيضاً على قذائف مدفعية الفوزديكا والصواريخ والألغام البحرية التي كانت تسقطها المقاتلات الحربية، وتعتبر هذه العملية خطيرة للغاية، نظراً لتوغل المقاتلين داخل تحصينات النظام لتوصيل صاعق العبوة في طرفه بالمدرخة الكهربائية في طرف الثوار، وباستعمال أسلاك كهربائية طويلة، إذ يصعب مع ندرة التجهيزات تصنيع عبوات تفجر لاسلكياً.

من نافذة تطل على الكورنيش الجديد، كنت أرقب التحركات الواضحة أمامي في مطار المزة العسكري: مرت عدة دبابات على الطريق، ثم توقفت عند مدخل مبنى "الصيصي" الضخم، والذي يعد النقطة الوحيدة التي يتمركز داخلها النظام مقابل مطار المزة؛ كانت وظيفة الدبابات إيصال الذخيرة والطعام لعناصر النظام في المبنى، وهو ما أتاح لنا فرصة ممتازة لتحقيق انتصار ما..

"هل الجميع جاهزة؟" يصيح "أبو عابد" قائد المجموعة التي أقاتل ضمن صفوفها؛ التصق مقاتلونا بالطلاقيات التي جهزوها في شرفات وجدران البناء ذي الطوابق الخمسة الذي نرابط فيه؛ "عند القتال عليك رش القليل من الماء على الطلاقية، حتى لا ينبعث الغبار أثناء إطلاق النار فينكشف مكانك" ينصح أبو عابد أحد مقاتليه، ثم ينشغل بالمراقبة.

طوال الليل قمنا بالتفخيخ، زرنا العبوات الموجهة، لكن المفاجأة الكبرى كانت في منتصف الشارع العريض، حيث أخفينا صاروخ ميغ وقذيفتي فوزديكا موصولتين ببعضهما ببعض.. أصبح هدير الدبابات التي تتجهز للعودة مسموعاً؛ كانت الخطة تفجير جميع الألغام عند مرور الدبابات في طريق العودة. "الآن فجر" يصيح أبو عابد بصوت لاهث، أطبق صمت رهيب على الجميع لثانيتين أو ثلاث، ثم دوت أصوات الانفجارات، وتصاعد دخان أسود كثيف من المجنزرات، وهذه العلامات كانت تدلنا على تفجيرها واحتراقها.

لم يتمكن الثوار من التصدي لهجمات النظام العنيفة طويلاً، لاسيما من



Rosalind Bieber

طوابير السوريين المتشابكة في ولاية كيليس التركية

مصطفى أبو شمس

يقف الطابور على قمة هرم تَمَثَلات الثقافة والمدنية لدى السوريين، رغم تاريخهم السيء معه، والمستمر اليوم في دول اللجوء. وربما لهذا السبب بالذات، يحمل كل أحد منهم تصوراً لجذور مشكلة الطابور وحلاً لها.

أيديهم"، وبالرغم من أن هذه الطريقة "ما بتتفع دائماً"، إلا أن العادة جرت ومنذ سنوات باتخاذ هذه الطريقة في كل مرة.

في الساعة السادسة صباحاً، كان رقم الدور قد وصل إلى (73)، ناهيك عن دور النساء، الذي يسجل أرقاماً خاصة به. يتوزع الأهالي على "جدران المحال التجارية": نساء تحملن أطفالهن، عربات لرضع مرصوفة على الطرقات، أطفال يلعبون "ليلاً" وسط برد الشوارع وخطرها، ورجال يدخنون بشراهة، وأحاديث لا تنتهي عن الشائعات التي دائماً ما تلقى أذناً صاغية، حول الشروط والطلبات والأوراق الرسمية للحصول على المساعدات، والتي "تتغير" وفق "أهواء المستفيدين وخيالهم"، يقول علي (واحد من المنتقدين لتلك الشائعات)، فمع "معرفتي بأن معظم تلك الأشياء لا تتعدى الشائعات، ولكني قمت بإحضارها كغيري من الناس، خوفاً من أن تكون صحيحة". ما إن فتحت المراكز أبوابها حتى تدفق الناس، "متجاهلين أرقامهم"، أصوات تتعالى بالترتيب دور الطابور تضيع سدى في الزحام، رجال ونساء يتزاحمون، وبكاء أطفال يطفئ على المشهد... موظفو المراكز أغلقوا الأبواب "بحجة انتظام الدور"، رجل كبير في السن خطب بالناس "محاولاً تذكيرهم بما تبقى من إنسانية"، ردود كثيرة صادفته: "صرلنا من الساعة 12"، "أنا وقت جيت ما كان فيه غير تلاتة"، "صرلي يومين معطل ما رحت عالشغل"، "هاد مو عالدور"، "يا شباب كل واحد يحفظ دورو"...

بالدور، والطوابير العشوائية"، والتي "يتداولها الأتراك على صفحاتهم لتصبح مثار سخريّة في التعليق على المشاهد، أو الدعوة إلى طردهم بحجة عدم القدرة على الاندماج مع أولئك الفوضويين"، أو حتى أمام السوريين أنفسهم، والذين يرثون للحال التي وصلوا إليها، محملين المسؤولية لتلك المؤسسات في إيجاد حلول من شأنها "إيجاد حلول تنظيمية"، ليعيدها بعضهم "للعهود الطويلة من الفوضى والذلل التي عاشوها سابقاً، في ظل انتشار المحسوبيات والواسطات والرشى".

يحمل أبو محمد (لاجئ سوري في كيليس) بيده قلماً أزرق اللون، ويرتدي عباءة (سميكة) ويلف رأسه بـ (شماغ)، بعد أن دخل الشتاء فجأة، وهو يوزع بـ "يد مرتجفة" أرقام الدور على أيدي الأهالي، الذين بدؤوا يتقاطرون على مراكز البريد التركي (PTT)، منذ ساعات الفجر الأولى، فأبو محمد "أول الواصلين" على حد قوله، "صرلي يومين ما طلعتي دور، اليوم جيت من الساعة 12 بالليل".

يأمل الرجل أن يكون أول الداخلين إلى المركز لاستلام مساعدة مالية تعينه على قضاء بعض احتياجاته في الشتاء، ليأخذ دور المنسق لعمليات الدور "بكتابة أرقام الواصلين بالتسلسل على

تتدرج الحلول من الصرامة والبطش للدفع للانتظام فيه.. حتى الدعوات إلى الالتزام الأخلاقي الذاتي بالانتظام، وهذا ما يتداوله السوريون وهم منتظمون في الطابور أو خارجه، في تركيا أو غيرها من الدول، وفي ولاية كيليس أو غيرها من الولايات، لتشكل الأخيرة نموذجاً عن تلك (الأزمة السورية)، بكل ما فيها من فظاعة وامتهان وربما خسة في بعض الأحيان، وكيف يرى إليها المشاركون فيها بشكل أو بآخر، وكيف يفترضون أسباباً ويتوقعون حلولاً لها.

يتحوّل ليل السوريين في ولاية كيليس التركية إلى نهار، عند كل استحقاق تقدمه واحدة من المنظمات الإنسانية، أو قرار يمسه من الحكومة التركية، أو مساعدات شخصية تخصصهم؛ تبدأ بعدها حملة من الانتقادات للفوضى الطابورية الحاصلة، والتي كثيراً ما تتحول إلى عراك بالأيدي أو تبادل للسباب والشتائم، تتناقلها وسائل التواصل الاجتماعي، لتتقسم الآراء حولها بين متعاطف مع الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يعيشها السوريون، ورافض للطريقة "الفوضوية" والمشهد الذي "يسيء" لصورة السوري، سواء أمام "الأتراك" الذين يعبرون عن امتعاضهم من "الجهل السوري، وغياب ثقافة الالتزام

له الءءول، ووقف مءءرفجاً وهو یرفع یده الءة ظهر علیها الرقءم وءءء، فءینها تم اسءءءام "مرشءاء المیاء وءءی العصی" من قبل الشرطءة لءنءظیم الءور، ءون ءءوی أیضاً، یكمءل "هناك من ءءل عن طریرق الواسطءة، ءون ءور، وبعضهم عن طریرق الرشاوی، لم نسءطع الوصول إلى أءء (السماسرة)، ربما ءكون ءلك القصءة ككءثیر من (الشاءءاء المءءاولءة)".

"لماءا یءمولننا مسؤوءیءة ما یءء" یقول المءرس سعید الءی یرى أن المسؤوءیءة الأكبر "ءقع علی عاءق المؤسساء والمنظماء"، فلماءا لا ءكون "هناك روابط إءءرونیءة للءسءءل والاسءءاءة، ویءم من ءلالها إعطاء أءوار للناس للمراءعة، أسوءة بالأءراك أنفسهم"، ویءساءل عن سبب "وءوء موظف وءء أو اءءین علی الأءلب، ولماءا لا یضاعفون العءء عند كل اسءءءاق"، فالمءة الزمنیءة لءلك الءءماء "مءءوءة" والناس "ءعانی ظروفأ صعبءة"، وعلیهم أن ینءظروا لأشهر علی ضوء الطریرقءة المءءبعة فی ءسیرر الأمور، "ففي كل یوم یعطى إءن سفر لعدد مءءوء لا یءءاوز 50 شءصأ"، ومعظم السوریرین فی كلیس یءعملون فی ولایاء أخرى، أو طلاب فی ءامعاء مءءلءة، أو یراءعون مشافیة یءءولهم إلیها مشفى الولایءة، وهو ما یشكل عائقأ كبیرأ فی ءنقلاءهم، ویؤءی إلى الءلل والفوضی والبعء عن طررق بءیءة.. لینیء ءءیءه، "فوق كل ءلك، علیك انءظار الموظف الوءء لینیء كؤوس الشای الكءیره علی طاولءه".

وفی أفضل الأحوال "أن ءأءوا بعء انءهاء فءرة العءاء فی الءفءة الءانیءة"، كءر یءاولون ءءقرب منه، أءءهم یءءرء "باكیءه علی عءل لیعطیه سبءارة"، آءرون یءاولون "بلغة ءرکیءة مكسرة إیصال فءرءهم، وشرح ءاءءهم الماسءة لإءن السفر"، وءنءما یضیق ءرعا الرءل "الءی لا یلبی ءءاء أءء" یكءفی بعبارة "سیسءم یوق"، لینیء آمال الءاضریرن الءین یبءؤون بمءاءرة المكان ءباعاً، وهم ینظرون إلى الءلف.

یبءو الأمر مشابهاً ءءل المشفى الءكومی فی الولایءة، وإن كانء الءكومءة ءرکیءة قء أطلقء رابطأ إءءرونیأ للءسءءل مؤءرا، إلا أن معظم السوریرین لا یءبءون الءءول إلیه. مءاء من الأشءصاء یءءمعون فی البهو المءصص للءور علی شكل مسارب، ءشبه ءلك الءی كانء ءوضع أمام "أفران الءبز فی سوریا". الأصواء ءعلو فی كل مرءة، النساء هن الأكثر عءءأ، فالمشفى "مكان للءعلاء وللسیران فی آن وءء" ءقول ظلال الءی ءءبناها فی المشفى، ءءكى ءاضبءة وهی ءشیرر إلى وءءة من النساء ببءها "ءءیل إن موظف الاسءءبال آءبرها بعءم ووءوء طبیب عصبیءة لهذا الیوم"، فأءابءه "عظمیءة بیصیر"، وكأن القصءة "مكسب"، ءكمءل ظلال. یضاف إلى ءلك "رءلة البءء عن مءرءم یرءء علیك"، وهو ما یءلق "طوابیر من السوریرین عند كل باب".

أما ما ءصل فی "ءور الءلال الأحمر" ءءلك قصءة أخرى، یقول أبو مءءم فی بءایء ءكایءه (ءامل القلم الءی لم یءء

بعض الأشءصاء ممن وصلوا مءآءریرن یءلفءون ءولهم لاقتناص فرصءة للءءول، یضعون أیءیهم فی "ءیوبهم الءلفیءة"، یراقبون ما یءصل؛ الشرطءة الءی اسءعان بها موظفو المءرءز "هءءء وءوعءء"، ینءظم الءور لءقائق، وما إن یءم إءءال "بعض الأشءصاء لا یءءاوزون الءمسءة"، ءءی یعود المشءء كما كان علیه فی السابق، صراخ یعلو من بعید لرءلین یءعاركان ءول "ءور الطابور"، لا ءءءل الشرطءة، فقط ءعلق الباب فی انءظار "أن نءوق علی ءالنا"، یقول أءءهم. "البارءة كان هناك ازءءام أكبر، ءءی النساء ءعاركن فیما ببهنن"، قال لی شاب مءوسء فی العمر "وصار شدء الشعر"، ملوفاً ببیءه مع ابءسامءة ءفیفءة.

ءءشابه طوابیر السوریرین فی كل مرءة، وفی ءیر مكان؛ فعلى ءور "إءن السفر"، ءءء الموقف مءشابهأ، الوصول لیلاً "السمة الأولى للءصول علی إءن سفر"، والأقلام الزرقاء والأرقام الءی ءملاً "أكف الموءوءین"، وإن كان بشكل أقل، نظراً لقلءة العءء مءارءة بءور المساعءاء الإنسانیءة. "رءل الأمن" الءی یقف علی باب الءءول لإعطاء "إءن السفر"، یءءء الباب لءقائق، یءءل الءفءة الأولى الءی لا ءزید عن 30 شءصأ، لیعاوء إقفاله. ءقائق طویءة ءمرر علی المءءظریرن ءلف الباب، فءوى الكلام الءی یطلقه فی كل مرءة یءءرء بها من مكانه الءافئ لءءءین سبءارة، أو للنظر فی الوجوه المءرقبءة، "علیكم الانءظار ءءی انءهاء الموءوءین لأسمء لكم بالءءول"،

ءوزیع المءونة الشءوبءة فی مءءنة أورفا



يترقب الطلبة السوريون الباحثون عن "الخلاص" نتائج "المنح الدراسية" التي لجأوا إليها، والتي باتت "ورقة الرهان الأخيرة" في حياتهم، لحماية من "تجنيد احتياطي مباغت" أو "وضع اقتصادي مجهول الهوية"، بعد أن باتت "البطالة تنهش النخب من الأكاديميين".

طالبة سورية في جامعة عازي عنتاب

المنح التركية جمعت المعارض والمؤيد على مقعد دراسي واحد!

رانيا عيسى

في الوقت الذي طال الفرز السياسي في سوريا قطاع المنح الدراسية أيضاً، لتكون دول روسيا والصين على قائمة الدول المفضلة للطلبة المؤيدين لنظام الأسد لاستكمال دراساتهم فيها- تحدثت (عين المدينة) مع أحد المسؤولين في (Turkiye'nin burslari) متحفظاً عن ذكر اسمه، عن إمكانية قبول المنح للطلبة المؤيدين للنظام السوري للدراسة في تركيا، فشدد على أن معيار قبول الطلبة قائم على "خبراتهم العلمية"، إضافة إلى "السوية المعيشية المتردية"، مشيراً إلى قبول سوريين متقدمين من دول أخرى للالتحاق بالمنحة.

وحول عدد الطلبة المقبولين من مناطق سيطرة النظام مقارنة بالمعارض، في الوقت الذي تعاني فيه الكوادر التدريسية في جامعات المناطق المحررة من نقص في الكادر التدريسي، فضلاً عن غلاء أقساط استكمال الدراسات العليا فيها، تصل إلى 4000 دولار أمريكي لطلبة الماجستير و6000 للدكتوراه، اكتفى المسؤول في المنحة بـ"لا تعليق".

حينما ابتداء قبول الطلبة السوريين في العام 2015 كان ذلك في 8 جامعات حكومية بولايات جنوب البلاد، ثم أخذت قاعدة قبول الطلبة في الاتساع، ليجد السوريون مكاناً لهم في 13 جامعة تركية، تصنف ضمن أفضل ألف جامعة على مستوى العالم. ثم ليعلن مجلس التعليم العالي التركي العام الماضي عن استكمال 15 ألف طالب سوري في جامعات ضمن 81 ولاية، ما يشير بالضرورة إلى قدرة الطالب السوري على إثبات تفرده العلمي فيحظى بمقعد جوار الطالب التركي.

تتابع لنا مستذكراً تفاصيل المقابلة: «استرسل الموظف في طلب يفترضني مراسلة لإحدى القنوات المؤيدة للنظام السوري، أعطي خلالها ما جرى في عرسال صيف عام 2017، فموقف السياسي بقي مبهماً لديه، ما استدعى إطالة مدة مقابلي إلى 35 دقيقة، رفضت الإجابة، عاود طلبه بتغطية الحدث كمراسلة لإحدى القنوات التي جعلت من انقلاب 15 تموز فريسة لها، لكنني رفضت إجابته مجدداً، فأهوى المقابلة بجملته "قناة TRT بانتظارك!".

على المقلب الآخر، بعد أن عكفت أميمة. د 28 عاماً في كل جدرل سوري طوال سبع سنوات، تؤكد دعمها لسياسة الأسد وحرية ضد "الإرهاب"، اختصرت إجابتها قائلة: "خلينا نحط الموقف السياسي على جنب، ونشوف مستقبلنا بمنح أردوغان"، تكمّل: "راسلت كل المنح المقدمة من روسيا وإيران والصين، لكن لم أحظ بقبول حتى اللحظة"، لتستنتج "ما قيمة مقوفي السياسي! لم يقدر مقوفي تأمين منحة أو ظروف أستكمل فيها دراستي دون سفر". في حين يرى أحمد. ب 26 عاماً ماجستير هندسة عمارة، أحد الطلبة الملتحقين بالمنحة التركية، أن الكذب لضمان القبول في المنحة ممكن، فما الذي يمنح المؤيد لنظام الأسد من المراوغة لضمان مقعد له إلى جانب الطالب المعارض في الجامعات التركية، يتساءل: "ألا يمكن اجترار حل بفرص مفاضلة مغايرة للطلبة المؤيدين في حال قبولهم في المنح الدراسية؟"

حتى صار لزاماً على الطالب السوري زيارة "إيميله" وتحديثه لمرات كثيرة يومياً، خوفاً أن يتيه موعد مقابلة أو منحة في الطريق، ليرتبط نصف حياتهم بزيارة بريدهم الإلكتروني، أما نصفها الآخر فبالتردد على كل المنح الدراسية، وفي كل البلدان.

وعلى مبدأ "منقدم شو خسراين"، يقول مصطفى "لا أذكر عدد الجامعات والمنح التي تقدمت إليها، ولكنها كثيرة جداً، أحياناً يأتيني رد لاستكمال أوراق معينة أو اعتذار، أنتظر دقائق ثم أبحث في المراسلات علي أذكر طبيعة المنحة ومكان الجامعة". تنشر الجامعات والمنظمات التي تقدم منحاً دراسية تعداد طلبات المتقدمين للدراسة في برنامجها وعدد المقبولين فيه، إذ تقدم الجامعات التركية على سبيل المثال، تعهدات بمنح تعليمية لـ 20 ألف طالب، من أصل 135 ألف طالب تقدموا للحصول عليها، هذه السنة، معطية الأولوية للسوريين، حسب ما يقول مسؤولون في دائرة المنح التركية (Turkiye'nin Burslari).

بعد موافقة المنحة على المتقدم، عليه أن يجري مقابلة، غالباً ما تكون في بيروت بالنسبة للسوريين الذي يسكنون مناطق سيطرة النظام، لتبدأ رحلة مشقة جديدة. فإثناء مقابلة أجرتها في المركز الثقافي بغرض الالتحاق بالمنحة التركية العامة، تروي لنا 28 عاماً (القادمة من دمشق): «حال عقلي آنذاك كانت فترة البث التلفزيوني تماماً.. منهكة، لكن سؤال الموظف عن ما إذا تعرضت لمضايقة من الأمن العام اللبناني أثناء قدومي صعقتني!»

صنم دير الزور.. برميل إعادة الإعمار وأموال داعش



■ سهيل نظام الدين

يبدو كجزء باق من نيزك ضرب دير الزور، كتلة لامعة وصقيلة، تختصر دمامتها بؤرة الخراب الذي تتمركز في وسطه، بينما تتسع دوائر الدمار الشاحبة حوله في خواء كان يوماً مدينة.

اللافت في أمر هذا الاحتفاء، أنه يمثل احتضاراً جديداً لعلاقة نظام آل الأسد بالسوريين عموماً، لجهة عدم قدرته على الخروج من هوس الصنمية الذي يستبد بوعيه السياسي، ما يجعله يعيد تكرار نمودجه في كل مرة يثبت فيها أنه فشل في إنتاج آليات بقاءه "الأبدي" الآمن، تحت شرط متكرر أيضاً، لقسر الناس على إظهار الموافقة على هذا "البعث"، مع إدراك متبادل لطريف معادلة القمع هذه أن كل ما يجري هو مجرد مسرحية متخمة بكذب، أشبه ما يكون بالاعترافات الجاهزة التي تنتزعها أجهزة مخابرات الأسد من المعتقلين تحت التعذيب.

ومالم يكن يسير وفق هذه الآلية، فسيجد مساره لمواجهة الصيغة البديلة لنظام الأسد، وهي الإرهاب المباشر والعاري. والواقع أن طباق التعذيب والإرهاب كان حاضراً بقوة في رحلة عودة "الصنم" من مخزن متحف دير الزور إلى الساحة القريبة منه، فالأمر كله أنجز برعاية شركة "القاطرجي" المصنفة دولياً على قوائم الإرهاب، باعتبارها شريكاً لتنظيم "داعش" في تجارة النفط، وتبييض أموال التنظيم الإرهابي أيام كان يحاصر دير الزور، ويميت سكانها جوعاً وعطشاً.

لم تكن عملية تهريب "هبل"، الذي بات الآن "صنم الحيوان الأب"، في أوائل حزيران عام 2011، لإنقاذه من سبعة آلاف متظاهر تجمعوا لتحطيمه، بعد استشهاد الفتى معاذ الركاض (14 عاماً) برصاص قوات الأسد- تحتاج إلى "تقدمة" من أحد، ولا إلى شريك وسيط بين النظام و"داعش"؛ فكلاهما لم يكن موجوداً، حين سحق- وأحرق- المتظاهرون تمثال باسل الأسد في الساحة العامة لدير الزور- واسمها المحلي ساحة التكاسي- في نيسان من ذات العام، أو حين لف متظاهرو الميادين تمثال الأسد بخرطوم سيارة إطفاء وسحلوه في مدينتهم.

الأمر الآن في صورته الضجاعية، أن التمثال، وهو الوحيد الباقي في الجغرافيا التي لم يكن حافظ الأسد يحبها، بات برميل "إعادة الإعمار" الذي ألقاه بشار الأسد وسط المدينة المدمرة لـ"بعث" هوس الأبدية الذي تطاير حطاماً في ساحة التكاسي.

إنه دالّة حكم آل الأسد، أو وفق مزيج من تعبيرات اللغة السياسية السورية، لما بعد الثورة والحرب والإبادة، فإنه "الحيوان المؤسس".

أعاد نظام بشار الأسد نصب تمثال أبيه وسط دير الزور، في مشهد أريد له أن يكون كرنفالياً، ليوحي بانتصاره على المدينة، التي يقول البنك الدولي إنها تصدر قائمة نسب الدمار في سوريا، وبينما يتشدّق رهط مؤيدي النظام وشبيحته في الدير وغيرها برمزية "عودة الدولة"، عبر تشخيص طاغيتها الدموي المؤسس لوحشية قوننة القمع والفساد بتمثاله الضخم، فإن الحرب على دير الزور تتواصل بضراوة متفاقمة، عبر تحويل هذه "الدولة" إلى واجهة مخالطة لمشروع القضاء على هوية دير الزور الذي تشنه الأذرع الإرهابية الإيرانية.

لكن هذا ليس ما يشغل بال النظام وشبيحته الذين يتلمظون بـ"انتصار" عودة حافظ الأسد، كجثة نخراء من الجص الفارغ، حتى لو كان وسط خرائب حاوية.

احتفى إعلام الشبيحة، الرسمي والاجتماعي، بعودة مؤسس الدولة الأسدية إلى دير الزور، في طقس

انتقامي من محافظة لطلما

اعتبرها حافظ الأسد جغرافياً

متمردة، لا تستحق التنمية

-على هزال هذا المفهوم

وبدائيته في مفاهيم البعث

الاقتصادية- مع أنها تقدم

أكثر من ربع اقتصاد سوريا

برمته. وما حدث فعلاً، هو أن

التمثال الذي كان أهل الدير

يسمونه "الصنم" و"هبل"،

حتى قبل قيام الثورة، أخرج

من سباته المنعور الذي دام

نحو سبع سنوات، وأعيد

طلاؤه بلون مغاير لأصله

ذي الطابع العسكري،

وأقيمت له قاعدة جديدة

في مكانه الذي كان يعرف

بدوار السبع بحرات، ووضع

عليها، في احتفال أشبه

بـ"المسيرات الطوعية"، التي

كان السوريون يسحلون

إليها قسراً، على مدى 47 عاماً

من حكم الأسدين.





عمار حمو ومادلين إدواردز
عن موقع The Middle East Eye
نقلًا عن موقع Syria Direct
31 تموز / ترجمة مأمون حليبي

كيف تتغير مفردات الثورة في الغوطة الشرقية

في معقل سابق من معاقل المتمردين، يقول السكان إن عليهم الانتباه للطريقة التي يتكلمون بها حالياً في ظل سيطرة الحكومة.

ترعاها الدولة تحت ملصقات لرئيس يبتسم ولوالده، بينما يتوجه شبان غوطانيون بحذر إلى قلب دمشق للحضور في الجامعة. وفي حين أنه ثمة وجود لإشارات مرئية على عودة الحكومة السورية، فإن المنظومة اللغوية لعدة سنوات من حكم المعارضة ما تزال متجذرة بعمق. كما في درعا ومناطق أخرى من البلاد بقيت تحت سيطرة مديدة للمعارضة، طوّر الغوطانيون "مفردات" تعكس واقعهم اليومي. فالكلمات التي كانت من الممكن أن تكون سبباً للسجن إن استخدمت علناً قبل 2011، أصبحت جزءاً من الحديث اليومي: الثورة، المتمرّدون، الأسد، و"الحكومة" السورية أصبحت "النظام" السوري. يقول عبد الرحمن، طالب جامعي من دوما: "بعد 7 سنوات في ظل حكم جماعة متشددة أو سياسة معينة، يصبح لديك لهجة مرتبطة بظروف معيشتك". الخبز، وهو مادة غذائية أساسية وأحياناً نادرة في ظل الحصار، كان اسمه بكل بساطة خبز عندما ينتج محلياً في الغوطة، لكن الخبز الذي كان يصلنا عن طريق القوافل، أو من مخازن النظام، كنا نسميه خبز الأسد، يقول عبد الرحمن.

ويقول أبو رائد، أب لثلاثة أطفال، إن بعض المفردات التي تبنّاها أثناء سنوات الحصار والقصف ما زالت تفلت منه. "يقول المرء أشياء مثل النظام، أو الثورة، أو (من قبل، عندما كنا محاصرين)". أحياناً، في اللحظات الأكثر هدوءاً، عندما يتذكر أصدقاءه وأفراد أسرته الذين قتلوا في القصف، يستخدم أبو رائد فعل "استشهد". "الأحاديث خلف الأبواب المغلقة أمرٌ يختلف عن الأحاديث خارجها. من المستحيل خارج البيت أن أرتكب خطأ". "كل شيء على مايرام"

في الأيام التي تلت مغادرة محمد راتب للغوطة متوجهاً إلى إدلب في نيسان، أرسل رسائل واتساب إلى أفراد أسرته الذين لم يغادروا. أرسل تحية بسيطة: "كيف حالكم يا شباب؟ ما الجديد؟" كان الرد على رسالته زخات من لغة مشفرة وهسهسة فعلية من أفراد أسرة عصبين، خائفين من صدفة أن يكون مخبرو النظام يتعقبون أو يراقبون أحاديثهم الدائرة عبر الواتساب. يقول راتب: "يتحدثون معي عن كل شيء ما عدا الثورة والنظام والجماعات المسلحة".

عندما سُأل أبو رائد ماذا كان هو والآخرين يقولون لبعضهم البعض أمام الملأ، ضحك وقال بسخرية: "كل شيء على مايرام". بعض الجيران وصلت الأمور بهم إلى حد تبني لهجة لاذقانية مغالي بها. في هذه الأيام كل شخص يقول كيفك يا حبيب، كيفك ياغالي

في الشهر الماضي، عندما زار سامر ياسين المكتب الإداري المؤسس حديثاً خارج دمشق، قال أمراً ربما كان عليه ألا يتفوه به. هذا الشاب، الذي يعيش في ضواحي الغوطة الشرقية الواقعة سابقاً تحت سيطرة المعارضة، كان يأمل أن يتسجل في جامعة العاصمة، لكنه أراد أولاً أن يتحقق من الموظف الحكومي الجالس إلى الطرف الآخر من المنضدة، إن كان من المحتمل أن يتم سوجه للخدمة العسكرية وهو في طريقه إلى الجامعة. "سألتهم (ما هو مصير التأجيل من الخدمة العسكرية، كون الشبان من المناطق المحررة قادرين الآن على إنهاء دراستهم الجامعية؟)".

في الحال أسف ياسين لطرحه هذا السؤال، لقد كانت زلّة لسان كان من الممكن أن تكلفه غالباً. "الأراضي المحررة" هو تعبيرٌ غالباً ما كان يستخدمه السوريون المناصرون للمعارضة في وصف أجزاء من البلاد، كالغوطة الشرقية، تم تحريرها من الحكومة من قبل المتمردين بعد عام 2011.

نظر الموظف الحكومي إليه وسأله: "تقصد الأراضي التي كانت تحت سيطرة الإرهابيين؟" كان على ياسين أن يفكر بمخرج -وسرعة- ليصلح غلطته. "كلا، أنا أقصد الأراضي التي حررت من الإرهابيين". ومع أنه خرج من المكتب دون مزيد من الأسئلة، إلا أن مخاوفه لم تكن دون أساس، فيما أن الحكومة السورية تعيد تأكيد سلطتها على ضواحي الغوطة الشرقية، يرغم ياسين والسكان الآخرين أنفسهم على نسيان (مفردات الثورة) التي تعلموها في ظل حصار خانق أبقى 400 ألف شخص في شرفة لغوية بعيداً عن سمع الحكومة السورية. مراقبة هذه "اللهجة" العائدة لزمان الحرب صارت مسألة جديدة تتعلق بها السلامة الشخصية.

"خبز الأسد"

ابتداءً من كانون الأول الماضي، دمر هجوم شامل قام به الجيش السوري وحلفاؤه الجيب المنهك جوعاً وقصفاً من قبل، في حين ردّ المتمرّدون برشقات من القصف المتقطع على الأراضي القريية الواقعة تحت سيطرة الحكومة. ومع حلول نيسان، كان الحصار على الغوطة قد انتهى بعد سيطرة النظام التامة ورحيل عشرات الآلاف من المدنيين ومقاتلي المعارضة إلى محافظة إدلب.

بالنسبة لأولئك الذين بقوا، أخذت الحياة تتحول إلى حالة من الهدوء الغريب الحذر. أخذ علم النظام الآن يغطي خرائب أحياء الغوطة، وتجتمع النساء من أجل مهرجانات التسوق التي



اعتقال وعد شاليش وشائعات القرداحة تجعله جاسوساً لإسرائيل

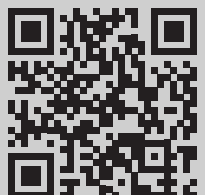
قبل شهر تقريباً، أُلقت مخابرات النظام القبض على وعد جابر شاليش، قائد ميليشيا "سرايا الوعد". تعددت الأقاويل في مدينته القرداحة عن سبب "التوقيف"؛ قضايا جنائية حسب روايات، والتجسس لحساب إسرائيل حسب روايات أخرى.

لإحدى نزوات زوجته، التي أرادت أن يكون ابنها (علي) و(هبة الله) متفوقين، فأدخلت الإجابات إليهما في قاعة الامتحان، ليحصل الولد على المرتبة الأولى وشقيقته على الثانية بين الناجحين في "البكالوريا الأدبي" على مستوى اللاذقية في العام الماضي. في البداية لم يبدِ وعد حماسة أقرانه لأي نشاط عسكري بعد اندلاع الثورة، بل ظل منشغلاً بشأنه الخاص. وفجأة، وبما يخالف طبيعته المسالمة، بدأ في أوائل العام 2016 بتأسيس ميليشيا "سرايا الوعد" تحت جناح "قوات الدفاع المحلي" المدعومة من الإيرانيين، ثم نقل تابعيته إلى الروس في العام التالي، وغير اسم قواته إلى "قوات سرايا الوعد العاملة مع الأصدقاء الروس"، قبل أن يترك القيادة لآخرين، ويكتفي برئاسة شبه فخريّة للميليشيا التي تأكل عددها مع مطلع العام الحالي، قبل أن تتلاشى ويبقى منها صفحة إخبارية نشطة على فيسبوك.

سلط اعتقال وعد الضوء على حياته الخاصة في أحاديث أهالي القرداحة اليوم، فجعلته بعضها ضحية تسلط زوجته بسمته، ابنة عمه المتصايبية؛ التي سجلت أملاكه باسمها، وتركته بلا مورد كافٍ يغطي نفقاته في لعب القمار من ناحية، والفوز بقلوب نساء مكلفات من ناحية أخرى - وجعلته أشبه بمريض نفسي يهيم على وجهه بسيارته (الغواصة) في طرقات الجبل، أو يجلس صامتاً في مقاهي آخر الليل وحده دون مرافقة. أحياناً يقع في حبال امرأة ماهرة تتلاعب فيه وتفوز بما تستطيع من أعطياته، وفي أحيان أخرى يقع - وهو الرجل الوسيم البالغ (45) عاماً - في هوى طالبة جامعية، ولا يحاول، كما الشائع، أن يبتزها أو يجبرها - رغم قدرته - على الاستجابة. فهو مسالم ولطيف لا يخرق القوانين إلا للضرورة، أو إثباتاً لحضور عرضي ما على قائمة اهتماماته، أو تلبية

التجسس اتهام غير متوقع لشخص مثل وعد، جدته لأبيه شقيقة حافظ الأسد، وعمه قائد الحرس الشخصي الأشهر للأسد الأب، ثم للابن، ذو المهمة شاليش. من حيث الظاهر لا توجد لدى وعد أي دوافع ليكون جاسوساً على سلطة عائلية ينتمي لطبقتها العليا، ويحظى بكامل الامتيازات الاستثنائية لهذا الانتماء.

لكن من غير المتوقع أيضاً أن تكون أفعال شائعة في أوساط "نبلاء" القرداحة، مثل تجارة المخدرات والدخان والسطو المسلح وقطع الطرقات، وغيرها من الأفعال الطائشة، سبباً يوجب الاعتقال، لا سيما وأن القضايا المسجلة ضد وعد قليلة جداً وقد تقدمت، ومنها افتتاحه معمل صغير -سرعان ما تعثر- لحبوب الهلوسة (كبتاغون) في منزل يملكه، بحي الزراعة في اللاذقية، وكذلك شحنة حشيش فاشلة، صودرت صدفة في طريقها إلى حلب.





طفل من ريف دمشق - عدسة فادي الشامي - خاص عين المدينة



من مدينة أديب - عدسة شمس الدين معطون - خاص عين المدينة